عبد الله حمّودي

الشيخ والمريد

النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة

ترجمة عبد المجيد جحفة

دار توبقال للنشر

الشيخ والمريد

كيف يمكن أن تُواجَه السلطوية فكريا وعمليا في المجتمعات العربية الحديثة؟

تعني المواجهة هنا التحليل والتفسير. وقد حاولت منذ كتاباتي الأولى، ابتداء من 1974، أن أتخلص من نواقص الوظيفة البنيوية من خلال مجهود نقدي تبنى نظرة للظواهر الاجتماعية والثقافية بوصفها حصيلة تاريخية يتفاعل فيها المحلي (القرية، القبيلة مثلا) مع الشمولي (الحكم المركزي، الأمة، المعتقدات والشعائر السائدة على المستوى العام، السوق وشبكات التبادل التجاري...). وتضمن ذلك النقد الإلحاح على أن للمجتمعات المغاربية توجهات وتطلعات وطموحات، ولا يمكن اعتبارها سجينة عمياء لمجرد عادات موروثة تلبي مقتضيات بنيات لا شعورية. وها هي تلك الاستنتاجات تغذي اليوم، وفقا لنسق جديد، هذه المحاولة لتحليل السياسي في المجتمع المغربي وتعميمها بوسيلة المقارنة مع المجتمعين والمسارين الجزائري والمصري.

وتتلخص الفرضية الأساسية التي تبنى عليها فصول هذا الكتاب في تسرب خطاطة ثقافية من مجال الصوفية والولاية إلى المجال السياسي. وهذه الخطاطة التي استندت إليها علاقات السلطة واستمدت منها ديناميتها هي في نظري علاقة الشيخ بالمريد، التي أصبحت العلاقة النموذجية لعلاقات السلطة الأخرى؛ ومن خلال تمحيصها تظهر تطابقاتها البنيوية مع تلك العلاقات، سواء في مجال التعليم العلمي والحرفي أو في المجال السياسي والنقابي، أو في مجالي الإدارة والنظم الأخرى... وهذا التطابق يتجلى خاصة في ما سميته التأرجح بين النوعين (الأنثى والذكر) بوصفهما تصورا اجتماعيا وثقافيا لخصائص بيولوجية. وقد بدا لي أن المرور الرمزي والحتمي من وضع مؤنث في مرحلة التكوين (والذي يبرز في تربية المريد بقوة لا مثيل لها في المجالات الأخرى) بنية أساسية للتوفيق والفتح سواء في مجالات التحصيل الروحي أو في مجالات الكسب الدنيوي (بما في ذلك السياسي).

تلك هي التركيبة الثقافية التي تتيح لنا، كما أعتقد، أن نفهم بشكل أدق، البنية السلطوية المغربية الحديثة، والبنية السلطوية ذاتها في المجتمعات العربية الأخرى.

المحتوى

- **تمهيد** 5
- **مقدمة** 15
- **الفصل الأول : التحكيم وأشكال ممارسة السلطة : نحو تحديد للنظام السياسي المغربي** 33
  1. البيعة واللدنية والتحكيم 37
  2. المجتمع المدني المكمَّم 48
  3. نظام الرعاية والأعيان : النجاح بواسطة العلاقة الشخصية 54
- **الفصل الثاني : ممارسات السلطة وخطاباتها قبل الاستعمار** 69
  1. دار المُلك بوصفها مفهوما سياسيا 72
  2. ثلاث وسائل إجرائية في علاقة السلطة : التقرب والخدمة والهبة 75
  3. الرعب والإدارة : بين الهبة والعقد 80
  4. التوسط : الجسد الروحي والقهر 93
  5. السلطان بصفته وليا ومحاربا 100
- **الفصل الثالث : الشيخ والمريد : تجربة السلطة وتقديسها** 107
  1. تكوُّن سلطات الزعيم/الشيخ وبنيتها 111
  2. تكون سلطات ولي الله وبنيتها : علاقة الشيخ بالمريد 114
  3. الهبة المطلقة : الخدمة والشفافية والتخلي عن الرجولة 121
  4. الشيخ والمريد : الازدواجية والتأرجح والتكوين من أجل السلطة 129
- **الفصل الرابع : البنية الكولونيالية وإعادة إنتاج البنية التسلطية : نموذج لبناء تراثية سياسية** 137
  1. خصوصية البَـنْيَنَة الكولونيالية : الزعامة والتقنوقراطية 139
  2. الاستعمار والتسلط والمجتمع المدني 158

❐ **الفصل الخامس : رسوخ الخطاطة والمفارقات التي تحركها** 173
1. الولوج إلى السلطة في التاريخ الثقافي : القلب الإجباري للمريد 178
2. طوبوغرافية السلطة : اختبار النظرية بواسطة طقوس المرور 184
❐ **الفصل السادس : أنظمة سلطوية : المغرب والجزائر ومصر** 195
1. تمهيد للمقارنة 197
2. الجزائر : تنافس الإخوة وضعف الوساطة الرمزية 200
3. الوجهان المغاربيان للنظام التسلطي : مقارنة بين المغرب والجزائر 208
4. مصر : التحديث والبحث عن «صاحب الساعة» 215
5. نموذج الشيخ والمريد والمؤسسة الطرقية 221
❐ **خلاصات** 235
❐ **بيبليوغرافيا** 247